بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فهذا بحث في دراسة المؤثرات النفسية وعلاقتها في بناء الذات الشاعرة عند شعراء ما قبل الإسلام ، تقوم فكرته على الكشف عن المؤثرات النفسية عند هؤلاء الشعراء ، التي قادتهم إلى الالتزام بالحديث عن عاهاتهم الخَلقية في أشعارهم ، فكان لذلك الحديث وتكراره لديهم أثر في بناء ذاتهم الشعرية وتكوينها حتى غدا سمة واضحة ميزت كل واحد منهم بسمة خاصة طغت على شعره

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على النحو الآتي :

المبحث الأول : وقد تناولنا فيه التعريف بمفهوم المؤثر لغة واصطلاحاُ ، إلى جانب التعريف بالذات الشاعرة وإعطاء نبذة موجزة عن علاقة علم النفس بالأدب

أما المبحث الثاني : فقد درسنا فيه مؤثرات البصر (العشا والعمى) في بناء الذات الشاعرة عند شعراء ما قبل الإسلام ، ثم اتبعناها بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدناها في دراستنا

فإن وفقنا في مسعانا هذا فمن الله وفضله ، وإن اخطأنا فمن أنفسنا ، ونسأل الله سبحانه أن يتقبل عملنا هذا وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الاول : مفهوم المؤثر النفسي وعلاقته بعلم الأدب .

المؤثر لغة :

جاء في معاجم اللغة في مادة أثر قولهم : الأثر هو ((بقية الشيء ، والجمع آثار وأُثر وخرجت في إثره وفي أثَره أي بعده وأتثرته وتأثرته : تتبعت أثره ... والأثر ، بالتحريك : ما بقي من رسم الشيء والتأثير : إبقاء الأثر في الشيء . وأثّرَ في الشيء : ترك فيه أثراً))[١] ، فمن هذا التعريف يبدو لنا أن المؤثر هو ما يترك علامة في الشيء لا تمحى بسهولة

المؤثر اصطلاحاً :

ذهب الباحثون المهتمون بدراسة المؤثرات النفسية وعلاقتها بعملية الابداع الشعري إلى أن المؤثر هو السلوك الذي يتعامل به الانسان مع مجريات الحياة ومعطيات الأمور من حوله ، وهو مصطلح يتمتع بالمرونة وهو قابل للشد والجذب ، وهذا ما عبر عنه معظم الباحثين المهتمين والمختصين بدراسة علم النفس ، ويتضح لنا هذا الأمر من خلال ما أطلقوه على مصطلح المؤثر من تسميات مرادفة له في المعنى مثل : الباعث النفسي ، والمكون النفسي ، والعامل النفسي كل بحسب وجهة نظره [٢] .

وقد ذهب الفلاسفة والمتصوفة إلى عدّ المؤثر عاملاً نفسياً وفكرة تنزع إلى إحداث عمل ارادي ليكون المؤثر في ضوئها هو السبب الفعلي للفعل [٣] . فالمؤثرات النفسية ما هي إلا مجموعة من الانفعالات التي توحدت وتألفت بشكل خاص حول موضوع معين ، يدفع الانسان نحو ميول خاصة ويبرز هذا عند المبدعين بشكل واضح ، إذ يبرز دور المؤثر النفسي في تشكيل خبراتهم ، فالإبداع منشؤه نابع من حاجات النفس

---

(١) لسان العرب مادة (أثر) : ٣٨/١ . وينظر معجم الصحاح : ٢٨.

(٢) ينظر : المعجم الفلسفي ينظر : المعجم الفلسفي : ١ / ١٩٦ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٩٧/١ .

الأساسية [١]. ولما كان الشعر هو المتنفس الذي يفصح الشعراء من خلاله عن خلجات أنفسهم وخيالهم لذلك كان هو الميدان الذي نتقصى فيه الطبيعة التركيبة النفسية لهؤلاء الشعراء عن طريق تحليل قصائدهم واشعارهم للتعرف على طبيعة تلك الاعمال الأدبية والمؤثرات النفسية التي قادتهم إلى تكوين ذاتهم الشعرية ، ذلك لأن الأدب ما هو إلا تعبير عن شخصية منشئه فيكون بذلك هو المرآة العاكسة لنفسيته .

الذات الشاعرة :

يعد المنتج الأدبي هو التعبير عن الذات الإنسانية فنياً ، التي تظهر لنا بوضوح من خلال الأثر الفني الذي يبدعه الأديب أو الشاعر [٢].

ففي مجال الشعر ينبغي أن تكون القصيدة ملاذاً تتجلى فيه الذات الشاعرة وحالته الوجدانية التي تتلبسه وتملأ عليه أعماقه ، الأمر الذي يقرب هذا اللون من الاستغراق في هموم الذات وانفعالاتها الخاصة إلى ما يشبه السيرة الذاتية المعبر عنها تحت وطأة انفعال تعمل على اذابة الحوادث والخواطر التي يمر بها الشاعر وتلوينها بلونه الخاص به [٣].

ويرى الناقد بيلينسكي أن ((الفنان يأتي إلى العمل الفني ماراً بقلبه ليفرغ شحنته التي تنصهر في أحاسيسه حيث يتم تشكيل العمل الفني أخيراً))[٤] .

غير أن ذلك ليس هيناً ، أذ يصعب أن يأتي تجلي الذات بخط أفقي واحد ، بسبب اختلاف الظروف ومنافسة تيار آخر يدفع بالشاعر إلى الارتباط بالواقع الموضوعي ، وبحثه عن الارتباط بالشأن العام ، ولهذا فقد تبدو للمتلقي بعض التناقضات التي يصعب عليه إيجاد مسوغات لها لبيان

(١) ينظر : مدخل إلى علم النفس : ١١٣.
(٢) ينظر في النقد والأدب : ٣/ ٣٨٨.
(٣) ينظر : سيكولوجية الابداع في الفن والحياة :٩٣.
(٤) جماليات الفنون :٥٠.

مدى ثبات انسياب تيار الذاتية عند شعراء معنيين ، ووضوح مؤثراتها ومسبباتها عند شعراء آخرين .

علاقة علم النفس بالأدب :

إن علاقة علم النفس بالأدب قديمة جداً ، فطن إليها النقاد القدامى أشاروا إلى المؤثرات النفسية لعملية الابداع الشعري ، ولم يكن التراث النقدي يخلو من تلك النظرات الحادقة التي تدل على عمق خبرة النفس الإنسانية ومدى تأثرها في الأدب ، ولعل أول من اهتم بها هو بشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) في صحيفته التي أقر فيها بأن باعثي الشهرة والمحبة أقوى من باعثي الرغبة والرهبة إذ يقول : ((والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله وأن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ، لأن النفس لا تجود بمكنوناتها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة))[١].

كما أشار الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى التأثيرات النفسية وذلك حين نقل قولاً لرجل أعرابي قيل له ((ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق))[٢].

وذهب ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) إلى أن أساس الخلق الفني هو الغريزة التي تحركها دوافع تحتشد في ذات المبدع فتؤثر فيه إذ يقول : ((وللشعراء دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب))[٣].

---

(١) البيان والتبيين : ١ /١٣٨.
(٢) المصدر نفسه : ٢ / ٣٢.
(٣) الشعر والشعراء : ١ / ٧٨.

كما تحدث عن الأوقات التي يسرع أتيّ الشعر فيقول ((منها أول الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قيل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير ، ولهذه العلل تختلف أشعر الشاعر ورسائل الكتاب))[١].

إن في تحديد ابن قتيبة لحالات جيشان النفس بالشعر وتدفقه يكشف عن خبرة بأحوال النفس يصعب على من لم يجربها والمرور بحالاتها الوصول إليها.

إن الحديث عن الحالة النفسية وتأثيرها في قول الشاعر تحدث عنه الكثير من نقادنا ونحن هنا لا نريد أن نستطرد في الحديث عنها كلها ، وإنما نحن نأتي بمثل هذه الأقوال للدلالة على ذلك حتى يصبح معلوما للقارئ كيف شغل النقاد قديما بهذا الأمر وأولوه اهتمامهم وعنايتهم [٢].

ومن خلال أقوال النقاد القدامى الذين ذكرناهم يتضح لنا أنهم يرون من خلال تتبع شخصية المبدع في العمل الفني أن الشعراء هم علماء النفس الأوائل الذين يسّروا لمن جاء بعدهم من العلماء اكتشاف جوانب النفس المعتمة ، فحياة الإنسان النفسية مزيج معقد من الشعور واللاشعور وبينهما القوة العازلة ، وهي الكبت [٣].

وبعد كل هذا نقول : إن العلاقة والصلة بين علم النفس والأدب وثيقة لا يمكن لنا انكارها فالشاعر يكتب ويعبر عما في داخله شعراً ويطلقه إلى الناس فيتأثرون به ويحرك فيهم المشاعر والأحاسيس فما نجد من النفس إلا الميل إلى هذا الشعر واستحبابه والشعور بالحالة التي تأثر فيها الشاعر ليعبر عما يجول في داخله .

---

(١) المصدر نفسه : ١ /٧٩ .

(٢) ينظر العمدة : ١/٩٥ ، ١٢٠ ، وعيار الشعر : ٦. ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء : ١١ ، ٢٤٩.

(٣) أنماط الصورة ودلالتها في الشعر الحديث : ٢٦٧.

وفي ظل هذا الاتصال المتين بين الأدب وعلم النفس من جهة الأدب والنقد الأدبي من جهة أخرى لم نجد ما يشير إلى وجود تعارض بينهما بل على العكس من ذلك ولعل خير دليل على ذلك قول أحد الباحثين ((لا تعارض بين علم النفس والأدب ، فعلم النفس علم بالكليات كسائر العلوم ، والأدب معرفة بالمفردات كسائر الفنون))[١].

ويرى باحث آخر أن ((العنصر النفسي أصيل في العمل الأدبي ودوره بارز في كل مراحله))[٢]. فهو ترجمان العقل والنفس معاً .

أما الغربيون المهتمون بعلم النفس فقد ذهب ابرزهم وهو فرويد الذي صبّ اهتمامه على تفسير الأحلام إلى عدّها النافذة التي يطل منها اللاشعور والطريقة التي تستطيع الشخصية من خلالها التعبير عن ذاتها ، فكان التناظر بين الأحلام من جهة الفن والأدب ومن جهة أخرى مغريا لعدّ الفن مظهراً من مظاهر تجلي العوامل الخفية في الشخصية الإنسانية [٣].

ولم تلبث مدارس علم النفس أن تطورت ونشأت اتجاهات أخرى كان بها أثرها في اكتشاف جوانب غير فردية لربط العالم الداخلي بالإبداع الفني ومن أهمها مدرسة (كارل يونغ) الذي يرى أن الشخصية الإنسانية لا تقتصر على حدود تجربتها الفردية بل تمتد لتستوعب التجربة الإنسانية للجماعة الموغلة في القدم ، وأن هذه الشخصية تحتفظ في قراراتها بالنماذج والأنماط العليا التي تختمر في الثقافة الإنسانية عبر الأجيال المختلفة وتنتقل على شكل رواسب نفسية موروثة عن تجارب الأسلاف لتدخل في طريقة تركيب التخيل الإنساني وطريقة الشعور ومنظومة القيم النفسية الإنسانية [٤].

---

(١) علم النفس والأدب : ٨.

(٢) في النقد الأدبي :٢٩٥.

(٣) مناهج النقد المعاصر : ٦٥.

(٤) ينظر : مناهج النقد المعاصر : ٧٣.

ثم ظهر تيار نفسي آخر كان له أهميته في تحليل الابداع الأدبي وهو الذي تمثل في مدرسة أدلر الرمزية التي تقوم فكرتها على الربط بين الأحلام والرموز ، وقد أتاحت هذه المدرسة للنقاد والدارسين الذين تأثروا بها النظر في عاهات المبدعين وعقدهم ونواقصهم والربط بينها وبين ابداعهم وتفسير ذلك في ضوء المعرفة المتحصلة بين الأديب أو الفنان .

وبناء على هذه الآراء وغيرها الكثير يتضح لنا بجلاء علاقة الأدب بعلم النفس ومناهجه ومدارسه واتفاق العلماء العرب القدامى والباحثين المحدثين والعلماء الغربيين أن الشعر لا بمكن فصله بأي حال من الأحوال عن البواعث التكوينية والعوامل المؤثرة عن شخصية الشاعر وبأن الشعر بمختلف أساليبه التعبيرية لا يمكن فهمه وتبين ملامحه إلا بالرجوع إلى واقع الشاعر إيماناً منهم بإن الشاعر ليس سوى نتيجة لهذا الواقع ومرآة عاكسة له .

المبحث الثاني : المؤثرات البصرية (العشا – العور) وعلاقتهما في بناء الذات الشاعرة .

إن للحواس دوراً بارزاً في نقل تجربة الشاعر النفسية وترجمتها للمتلقي شعراً ، وتعد حاسة البصر من أقوى الحواس إدراكاً ، وأهمها وجوداً بالنسبة للإنسان سواء أكان شاعراً أم غير شاعر فلا شك أن فقدان البصر أو إصابة العين بحدث أو مرض له وقع تأثير في نفسيتهم وبناء ذاتهم وشخصياتهم واذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة العربية نتبع الفارق اللغوي بين كلمة البصر والعشي والعور نجد أن البصر لغة هو من قولهم : بصر به بصراً وبصارة وأبصرة وتبصرة : أي نظر إليه فهو يبصره[١].

(١) ينظر لسان العرب (مادة بصر) : ٢١٢/١.

وحكى اللحياني فقال : وتبصر به بكسر الصاد أي أبصره وابصرت الشيء : رأيته وباصره نظر معه إلى شيء أيهما يبصره قبل صاحبة وباصره ابصره [١] ، وقال في هذا المعنى سكين بن نصرة البجلي [٢]:

فَبِتُّ على رحلي وبات مكانه أراقب ردفي تارة وأباصره

فهناك الفاظ عدة في العربية تستعمل في الدلالة على من فقد بصره ، فيقال : الأعمى والأكمه والكفيف والضرير والأعشى والأعور ولكل لفظة من هذه الألفاظ دلالتها ، فالأعمى مأخوذ من العمى وهو ذهاب البصر كله من العينين كلتيهما [٣].

إن هذه لا تحدد زمن فقدان البصر على العكس من الأكمه التي تعني فقدان البصر قبل الولادة أي حين يكون الانسان جنيناً في بطن أمه ، فهو العمى الذي يولد به الانسان .

أما الضرير فمن الضر وهو سوء الحال في حين أن الكفيف من الكف وهو المنع غير الكفيف والضرير لم يرتهنا بزمن العمى ودرجته .

في حين أن الأعشى هو الشخص الذي يفقد الرؤية ليلاً ، وأما العور فهو ذهاب حسّي لإحدى العينين[٤] إن اكثر هذه العاهات وأشدها وطأة على النفس الإنسانية هو العور الذي قد يفوق العمى وذلك بسبب المنظر القبيح الذي يتركه في شكل الانسان وهيأته الخلقية ولعل خير من صور ذلك هو جرير الشاعر أذ يقول[٥] :

وأعور من نبهان يعوي ودونه من الليل ظلمة وستور
لا عور من نبهان أما نهاره قليل وأما ليله فبصير

---

(١) ينظر المصدر نفسه : ١ / ٢١٢-٢١٣.
(٢) ينظر : الأغاني : ٦/ ٩٠ .
(٣) ينظر المصدر نفسه مادة (كمه) : ٥ / ٤٣٨.
(٤) ينظر لسان العرب مادة (عور) : ٤ / ٤٦٢ .
(٥) ينظر : ديوانه : ٧١.

وإذا ما أردنا أن نبين المعنى الاصطلاحي لهذه الألفاظ فإننا سنجد أن هذا المعنى قد أخذ في الأصل من المعنى اللغوي . إن فقدان الإنسان للبصر يوقعه في مشكلة واجتماعية تحول بينه وبين التفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه فكيف إذا كان هذا الانسان شاعراً يمتلك من الشاعرية ورفاهة الحس ما لا يملكه الانسان العادي مما يؤثر فيه تأثيراً يجعله يعكس هذا الحرمان على شعوره لكي يعوض نفسه ما فاتها من هذه الحاسة. ولهذا نجد أن عاهة البصر قد تؤدي بالشعراء الذين أصيبوا بها إلى اختلاف في أنماطهم السلوكية أذ تتأثر شخصياتهم بنشاط الأعضاء وكمالها ودقتها وبقيامها بوظائفها [١]. ذلك أن البصر يفوق الحواس الأخرى في أهميته الإدراكية والذوقية للجمال[٢].

وإذا كان تأثير فقدان البصر يترك في نفسيات الشاعر شعوراً مؤلماً إلا أننا نراهم في بعض الأحيان يتعايشون مع واقعهم ولا سيما أن البصر باعتقادهم سيحول بينهم وبين الرؤية الداخلية التي عليها مدار الفن ، ومنها ينطلق نبع روح الكشفية عما وراء المظاهر من قيم واسرار[٣]. فهذا بشار بن برد نراه يحول العمى لديه إلى شيء إيجابي لأنه اتخذه دليلاً على ذكاء الفرد أذ يقول[٤]:

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن من موكلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا

(١) ينظر : الحالة النفسية للمعوق : ٧ .
(٢) ينظر : الصورة البصرية : ٢٧٧ .
(٣) ينظر : الصورة البصرية في شعر العميان :٦٧.
(٤) ديوانه : ١٣٤.

إن العلاقة بين الأدب ونفس الشاعر علاقة وثيقة فما الشعر إلا انعكاس لنفسية الشاعر وما يدور في داخله ، فما الأدب إلا تعبيراً عن مشاعر الشاعر فإن عبر عن شيء آخر لا يعد أدباً [١] .

لقد كان عامر بن الطفيل الشاعر الفارس الذي أصابه العور في احدى عينيه في معركة من المعارك قد تركة هذه العاهة لديه تأثيراً إيجابياً فلقد جعل منه هذا فارساً شجاعاً حريصاً على الإقدام والقتال أكثر من ذي قبل ، مبيناً لنا هذا المعنى في صورة شعرية جميلة طافحة بمعاني السمو والرفعة إذ يقول [٢]:

فبئس الفتى إن كنت أعور عاقلاً جبانا فما عذري لدى كل محضر

وقد علموا أني أكر عليهم عشية فيف الريح كر المدور

فالعور لم يثنه عن خوض المعارك كما أراد أعداؤه وإنما العكس هو الذي كان مع أن قعوده عن القتال أمر محتوم بعد تلك الحادثة غير أنه يأبى الاستسلام لهذا الحدث وما كان هذا الشعر إلا دليلاً على تلك المؤثرات النفسية التي راحت تخالج نفسه محاولة ثنيه عن مواصلة دوره القيادي كفارس من فرسان قومه المعدودين .

إننا هنا لا ننكر أهمية حاسة البصر وتأثيرها فهي ((الأداة الأولى والكبرى للإحساس بالجمال والإحاطة بمعانيه)) [٣]، ومع ذلك تبقى البصيرة هي المقياس والأساس فكثير من الناس لهم أعين لا يبصرون بها.

فليس المبصر الذي يرى بل الذي يحمل في نفسه علماً يتعدى النظر الظاهر إلى الباطن ،

---

(١) ينظر : التفسير النفسي للأدب : ٥.

(٢) ينظر : ١١٠.

(٣)الصورة في شعر بشار بن برد :١٠٠.

فالعين أكثر اتصالا بالعقل لذلك قبل السمع منشأ النقل والبصر مبدأ العقل [١].

فإصابة العين أو ما شابه ذلك له وقع مؤلم في نفس صاحبه يظل بسببه رهين صراع نفسي لا ينتهي ، فتعبير الشاعر عن عاهته ما هو إلا نزف فكروي ووجداني ينفثه الشاعر في مخيلته تحت تأثير الرغبة والإرادة وغير ذلك من المؤثرات [٢] ، وعلى هذا يمكن فهم أهمية الصورة البصرية بالعودة إلى أهمية حاسة البصر نفسها ، وذلك لأن الشاعر يسخرها في التأثير والانبهار في مشاهد الكون ومناحي الحياة [٣] .

وإذا ما ذهبنا إلى شاعر آخر هو ميمون بن قيس الذي بالأعشى هذا الداء لازمه حتى غدى لقبا له نجده إلى دائه إذ يقول [٤] :

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلاً بأم خليد حبل من تصل

أأن رأت رجلا أعشى أضربه ريب المنون ودهر مفند خبل

ففي هذين البيتين نلحظ أن الأعشى على عزو سبب هذا الداء لديه إلى عامل الزمن الذي قاده إلى هذه السن المتقدمة التي جلبت له هذا الداء فكان سبباً في صد أم خويلد وهجرها له، فكان هذا هو أكثر ما يؤلمه إلى جانب الصلع الذي كان نذير شؤم عنده مما أثر في نفسيته أذ يقول [٥] :

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فمهما بلغ الأعشى من قدرة على تجاوز عاهته إلا أنها تعوقه وتؤثر في نفسيته ، أذ يحاول الشاعر الأعشى أن يصوغ مفرداته لطبائع المحسوسات التي يتلقاها من الآخرين ويحيلها خياله إلى تجارب وصيغ جاهزة ، فيجتمع

---

(١) ينظر الصورة الشعرية في شعر العميان :٣٨

(٢) ينظر : نقد الشعر من المنظور النفسي : ١٤٣

(٣) ينظر : التصوير البياني في شعر المتنبي : ٢٧٦.

(٤) ديوانه : ٢١.

(٥) ديوانه : ٦٥.

في ذهنه شيء من الواقع المسموع ممتزجاً بخياله ومتأثراً بالواقع المحيط [١].

ولا يقتصر تأثير العمى في حياة الشاعر ومكانته الاجتماعية فحسب بل في حياة العاطفية أيضاً وهذا ما نلمسه عند ابن مقبل الذي عانا من عذل صاحبته أذ يقول [٢]:

يا حُرَ امسيت شيخا قد وهي بصري والتاث ما دون يوم الوعد من عمري
يا حر امسى سواد الراس خالطه شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر
قد كنت أهدى ولا أهدى فعلمني حسن المقادة أني فاتني بصري

ففي هذا النص إقرار واضح بما فعله الدهر بالشاعر إذ أصبح شيخاً ضعيف البصر هزيل الجسم ضعيف البصر بعد أن كان شابا قوياً يهدي الناس إلى الطريق لا يُهدى إليه .

ومن الشعراء الذي أثر داء العسا فيهم هو الأسود ين يعفر إذ يقول [٣] :

أما تريني قد بكيت وغاضني ما نيل من بصري ومن اجلادي
وعصيت أصحاب الصبابة والصبا وأطعت عاذلتي ولا قيادي

فالشاعر يحاول أن يوظف لغة العقل والشعر للتعبير عن ما يختلج في صدره من معاناة وأوجاع فهذه الانفعالات التي يعيشها كانت تعويضاً عن المفقودات النفسية ومحاولة لإثبات الذات.

وعلى الرغم من أثر فقدان البصر على نفسية الشاعر غير أنه يرى أن ذهاب شبابه هو الذي قاده إلى هذه النهاية المرة أذ يقول[٤] :

هل لشباب فات من مطلب أم ما بكاء البائس الأشيب

---

(١) ينظر : القيم الروحية في الشعر العربي :٢٥.
(٢) ديوانه :٧٤.
(٣) ديوانه : ٢٨-٢٩
(٤) المصدر نفسه :٢٢

ولا ينفرد ابن يعفر في هذه المعاناة (ذهاب الشباب) وأثرها في نفسيته بل أن جلّ الشعراء على مختلف عصورهم الأدبية يشاركونه هذه المعاناة ولعل الأعشى كان واحداً منهم إذ يقول [١] :

تبدل بعد الصبى حكمة وقنعه الشيب منه خمارا

احل به الشيب اثقاله وما اعتراه الشيب إلا اعتراراً

فالشاعر في أزمه نفسية قاده غليها احساسه بتقدم عمره الذي كان الشيب نذيره الذي أحال حياة الشاعر إلى مأساة حقيقية فهو لا يستطيع رد ما أصابه فما كان له غلا الشعر متنفساً لمعاناته تلك .

وهكذا نجد أن فقدان البصر قد شكل محوراً مهما عند الشعراء الذين عانوا منه فنراهم يلحون في استعمال الفاظ الرؤية والمشاهدة في شعرهم لسد العجز والاحساس بالنقص الذي يلازمهم .

ولذلك اتسمت شخصياتهم وسلوكياتهم بالحذر واليقظة وذلك لضيق المساحة التي يسير فيها في عالمه المحدود الذي ينقصه الكثير من الخبرات في النوع والمدى لذلك كسب الخبرات بكل

جوارحهم وحواسهم الأخرى لتكتمل الصورة بداخلهم وليحسنوا التعبير والإجادة في الوصف [٢].

لقد عبر كولدرج عن القصيدة بقوله ((إن القصيدة ذات القوة الاصلية التي تستحق اسم الشعر بمعناه الجوهري ليست القصيدة التي منحتنا أكبر قدر من اللذة وإنما هي القصيدة التي تعطينا أكبر مقدار من اللذة حينما نعود إلى قراءتها)) [٣].

---

(١) المصدر نفسه :٤١.

(٢) ينظر : الصورة الشعرية في شعر العميان : ٢٩.

(٣) ينظر : السيرة :١٧٠.

إن تراثنا غني بكثير من تلك القصائد التي وصفها كولدرج بذات القوة الأصيلة فقد حلفت دواوين منذ عصر ما قبل الإسلام مروراً بالعصور التي بمختلف القصائد الجياد التي كلما قرأناها أو سمعناها فإنها تثير فينا إعجاباً وتبعث فينا اللذة الدائمة وتنقلنا إلى أجواء شاعرية رائعة إذ تستدعينا روعتها وقوتها إلى أن نقف عندها وقفة اعجاب واكبار ممجدين ذلك الشاعر الفذ الذي بث في كلماتها الحركة والحياة ، ومنحها الرقة والعذوبة ولعل اعجابنا هذا يقودنا إلى أن نتصور الشاعر نفسه وإن لم نره شاعرا جميلاً جمال صوره وصافياً صفاء عاطفته على الرغم من ما يحمله من عيب خلقي.

ولعلنا لا نبالي إذا قلنا بأن من يجمع القصائد الجياد المختارة من عيون الشعرة العربي يجد نسبة كبيرة منها تعود لشعراء عانوا من عاهات مختلفة جسمية ونفسية لازمتهم طوال حياتهم فأثرت وغيرت فيهم وأخذت منهم واعطت لهم [١].

ويرى علماء النفس أن الانسان ((يتعلق تعلقا شديدا بالأشياء التي تجرح شعوره فيفكر فيها طويلاً ويفسرها دائماً ضد نفسه)) [٢]، وهكذا نجد أن الشعراء قد انغمسوا في اللاوعي عند نظم قصائدهم ذلك لأن الشاعر ذو العاهة نراه حريصا كل الحرص على أن يبتعد عن كل اتصال حسي لأن ((العبقري في اللاوعي يكتب عن الواقع في التصوير الذاتي له الخالص من كل الملاحقة الحسية والمجرد من كل الشوائب المحيطة بالصورة التي يقدمها الوعي)) [٣].

---

(١) ينظر : عاهات الشعراء في الجاهلية والإسلام :٦ .

(٢) سيكولوجية المرضى :٤٩.

(٣) نقد الشعر من المنظور النفسي :١٦٧

وهكذا فقد أسهمت العيوب الخلقية التي كان يعاني منها شعراؤنا في خلق قدرات وقابليات عظيمة مكنتهم من الابداع ، لأنها كانت دافعا إلى تحفيزهم من أجل التغلب عليها ولكي لا يشعروا بالنقص الخلقي والجسماني فيهم ، فقد تحول شعورهم بالألم إلى نتاج أدبي مشحون بالعاطفة التي جعلت الناس تكن المودة والاحترام لهم .

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الذي درسنا فيه المؤثر النفسي وعلاقته في بناء الذات الشاعرة عند شعراء عصر ما قبل الاسلام توصلنا الى النتائج الآتية :

١. ان حاسة البصر من اقوى الحواس ادراكاً عند الانسان سواء اكان شاعراً ام غير شاعراً .
٢. ان فقدان البصر له وقع وتأثير كبير على نفسية الشعراء وبناء ذاتهم وشخصياتهم .
٣. ان للحواس دوراً بارزاً في نقل تجربة الشاعر النفسية وترجمتها للمتلقي شعراً .
٤. اتضح لنا بشكل جلي ان العلاقة بين علم النفس والادب علاقة متينة ، لا يمكن لنا فهم شخصية وسلوك الشعراء دون الرجوع الى مكونهم النفسي .
٥. على الرغم من الاثر النفسي المؤلم الذي يتركه فقدان البصر في نفسية صاحبه ، غير اننا وجدنا من الشعراء من سعى الى جعل هذا المؤثر شيئاً ايجابياً في حياته .
٦. تبين لنا ان العنصر النفسي كان حاضراً وفعالاً في العمل الادبي لشعراء ما قبل الاسلام وفي مراحله كافة .
٧. ان نظرة المجتمع حيال من كان يحمل عاهة او عيباً خلقياً كانت سوداوية ومؤلمة .
٨. تعرفنا من خلال هذا البحث على المصادر الثقافية التي استقى منها شعراء ما قبل الاسلام اساليبهم ومعانيهم .
٩. لقد بين لنا البحث اختلاف الانماط السلوكية النفسية في شاعر الى اخر .

١٠. بين لنا البحث أثر الحالة النفسية ، وأهمية دورها في عملية الابداع الشعري لدى هؤلاء الشعراء ومدى تأثيرها في بناء الذات الشاعرة لديهم ، التي رسمت خطوات قصائدهم واشعارهم .

١١. لم يقتصر الواقع السيء لمؤثرات البصر على حياة الشاعر الاجتماعية والفنية فحسب ، وانما شمل حياته العاطفية أيضاً .

١٢. إن الأثر النفسي المؤلم الذي تخلفه المؤثرات البصرية في حياة شعراء عصر ما قبل الاسلام سواء كانت خلقية ام بسبب تقدم العمر العائد الى اهمية البصر في حياة الشاعر فحاسة البصر هي عمادة الصورة الشعرية التي تبنى عليها العملية الابداعية الفنية .

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، د.ت
٢. البيان والتبيين ، لأبي عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧، ١٩٩٨م.
٣. التفسير النفسي للأدب ، د. عز الدين إسماعيل ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ط٤ ،د.ت .
٤. الحالة النفسية للمعوق ، د. محمد علي مطر ، دار المعازف ، مصر ، د٠ط ، د٠ت
٥. الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، د٠ط ، ٢٠٠٣م.
٦. الصورة الشعرية في شعر العميان ، الصرصري وابن جابر الاندلسي انموذجا ، د٠أحمد الفلاحي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، بغداد ، ٢٠١٤.
٧. الصورة في شعر بشار بن برد ، عبدالفتاح نافع ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٣.
٨. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١م .
٩. القيم الروحية في الشعر العربي القديمة والحديثه ، ثريا عبدالفتاح ملحس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٥، د٠ط ، د٠ت .
١٠. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، جميل صلبيا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧١م.

١١. أنماط الصورة والدلالة النفسية في الشعر العربي الحديث في اليمن ، د٠خالد علي ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٢٧ ، العدد الأول والثاني ، ٢٠١١م .
١٢. جماليات الفنون وفلسفة تاريخ الفن عن هيجل ، رمضان بسطاويس ، د٠ط ، د.ت
١٣. ديوان ابن مقبل ، تحقيق عزة حسن ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دمشق ، ط١ ، ١٩٦٢.
١٤. ديوان الأسود بن يعفر ، تحقيق نوري حمودي القيسي ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، د٠ط ، ١٩٧٠.
١٥. ديوان الاعشى ، تحقيق محمد محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، د٠ط ، ١٩٥٠.
١٦.ديوان بشار بن برد ، تحقيق محمد لطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٦.
١٧. ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، مصر ، د٠ط ١٩٧١.
١٨. ديوان عامر بن الطفيل ، شرح أبي بكر الأنباري ، تحقيق محمود الجادر ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، د٠ط ، ٢٠٠١ .
١٩. سيكولوجية الابداع في الفن والأدب ، يوسف ميخائيل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٥م.
٢٠. عاهات الشعراء في الجاهلية والإسلام ، محمد عبد النبي البلداوي ، مطبعة الآداب ، د٠ط ، د٠ت
٢١. علم النفس والأدب ، د٠سامي الدروبي ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨١م٠

٢٢. عيار الشعر ، لابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، مصر د.ط ، د٠ت .
٢٣. في النقد الأدبي ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٢م.
٢٤. في النقد والأدب ، مقدمات جمالية عامة وقصائد محللة من العصر الجاهلي ، إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٦م .
٢٥. لسان العرب ، لابن منظور (ت٧١١هـ) دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٢٦. مدخل إلى علم النفس ، د٠طه النعمة ، وصالح العجيلي ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، د٠ط، ٢٠٠٤م .
٢٧. معجم الصحاح ، للإمام إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، اعتنى به مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٨م .
٢٨. مناهج النقد المعاصر ، د٠صلاح فضل ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م
٢٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق د٠حبيب الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د٠ط ،٢٠٠٨م .
٣٠. نقد الشعر في المنظور النفسي ، د٠ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩ م.